

مختصر ابن كثير

83 - وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون .

يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا قصدا وعمدا وهم يعرفونه ويذكرونه فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا أمر جميع خلقه ولذلك خلقهم كما قال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها وهو حق الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ثم بعده حق المخلوقين وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين كما قال تعالى : { أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير } وقال تبارك وتعالى : { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } إلى أن قال : { وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل } وفي الصحيحين عن ابن مسعود قلت : يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : " الصلاة على وقتها " قلت : ثم أي ؟ قال " بر الوالدين " قلت : ثم أي ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " . ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رجلا قال : يا رسول الله من أبر ؟ قال : " أمك " قال : ثم من ؟ قال : " أمك " قال : ثم من ؟ قال : " أمك " قال : ثم من ؟ قال : " أباك ؟ ثم أدناك ثم أدناك " وقوله تعالى : { لا تعبدون إلا الله } قال الزمخشري : خبر بمعنى الطلب وهو أكد . وقيل : كان أصله { أن لا تعبدوا إلا الله } فحذفت (أن) فارتفع { واليتامى } وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء و { المساكين } الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم . وقوله تعالى : { وقولوا للناس حسنا } أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله وهو كل خلق حسن رضي الله عنه .

كما روي عن أبي ذر B عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تحقرن من المعروف شيئا وإن لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق (أخرجه أحمد عن أبي ذر B ورواه مسلم والترمذي) " يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل فجمع بين طرفي الإحسان (الفعلي) و (القولي) ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال : { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله أي تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به إلا القليل منهم وقد أمر

ا هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء بقوله : { واعبدوا ا ولا تشركوا به شيئاً
وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين } الآية